مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٢/٧/٧

بصراحة يكتبها محمد حسنين هيكل

[٤] حالة اللا سلم واللا حرب

... ومصـــــر

منـــذ عـــدة أيام ، كان لى الحـــظ أن أدير — فى « مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام » — مناقشة عن الوسائل الجديدة فى حسابات القرار السياسى واحتمالاته المتعددة ، وهى وسائل مستها هى الاخرى ثورة العصر فاذا هى لاتقتصر عند حدود العلوم السياسية ، وانما تتجاوز ذلك الى الافاق البعيدة للرياضيات وبحوث العمليات وتكنولوجيا المقول الاليكترونية .

وقرب نهاية المناقشة جاء الدور — كما هى العادة — على تطبيق عملى لما كنا نتحدث فيه ، ورحنا نبحث عن مشكلة نطرحها للتجربة الحية ، ونقيس عليها وبها فعالية الوسائل الجديدة فى حسابات القرار السياسى واحتمالاته المتعددة ، وامكانية تطويع أو استجابة هذه الوسائل للازمات المعقدة ...

وقلت :

— ان هناك موضوعا شغلنى خلال الاسابيع الاخيرة ، وكتبت فيه بالفعل ثلاثة مقالات ، كما ان امامى خلال هذا الاسبوع مقالا رابعا .

والموضوع — كما لعلكم تابعتم — عن حالة — أو جريمة — اللاسلم واللاحرب ، التى تمسك الان بخناق أزمة الشرق الاوسط وتوشك أن تختنقها كما قلت .

ولقد تصورت — كما كتبت — ان هناك اربعة أطراف رئيسية فى أزمة الشرق الاوسط هى : الولايات المتحدة ، واسرائيل ، والاتحاد السوفيتى ، ومصر .

ثم حاولت أن ابحث فى مواقفها جميعا عن المستفيد من حالة — أو جريمة — اللاسلم واللاحرب

ولقد كتبت بالفعل عن أدوار ومسئوليات كل من الولايات المتحدة واسرائيل والاتحاد السوفيتى ، وما زال باقيا على أن اكتب عن دور ومسئولية مصر ... »

واستطردت :

— ونحن الان نبحث عن مشكلة نطرحها للتجربة الحية ونقيس عليها وبها فعالية الوسائل الجديدة فى حسابات القرار السياسى واحتمالاته المقدرة .

واقترح — اذا وافقتم — أن نطرح هذا الموضوع للتجربة ونرى الى اين تصل بنا النتائج » .

واعترف أننى فاجأت بعض الجالسين للمناقشة — ورجائى أن لا أكون احرجتهم — لكنهم جميعا قبلوا بالاقتراح .

□

كنا **خمسة عشر** مشتركا فى المناقشة . **ثمانية من أبرز اساتذة** العلوم السياسية والاستراتيجية وكلهم من الشباب الجديد الذى ما زالت محركاته العقلية والنفسية تدور بالامل لم يلمسها الصدأ بعد — **واربعة** من الصحفيين — **واثنان** من المتخصصين فى بحوث العمليات — ثم **خبير فى تكنولوجيا** استخدام العقول الالكترونية .

ودخلنا الى التجربة ...

وليس هذا مجال شرح قواعدها وتفاصيلها ، وانما الذى يعنينى الان بالدرجة الاولى هو نتائجها ، وقد كانت بعد أكثر من

خمس ساعات من العمل المركز والمكثف كما يلى :

- اسرائيل : لها ٥٨٤ نقطة فى الاستفادة من حالة اللاسلم واللاحرب .
- الولايات المتحدة : لها ٢٥٠ نقطة فى الاستفادة من حالة اللاسلم واللاحرب .
- الاتحاد السوفيتى : له ١٦٥ نقطة فى الاستفادة من حالة اللاسلم واللاحرب .
- مصر : عليها ١١١ نقطة بالناقص ـ اى تحت الصفر ـ من استمرار حالة اللاسلم واللاحرب .

وقمنا بمراجعة لما اجرينا من الحسابات وكانت النتيجة نفس النتيجة ، ثم فعلت شيئا آخر هو اننى طلبت الى جميع المشتركين فى المناقشة ، تنحية الاساليب الجديدة ـ من اولها الى آخرها ـ جانبا ، ثم ان يتامل كل منهم ـ على اختلاف النظرات والاجتهادات فيما بينهم ـ هذه النتيجة التى توصلنا اليها ثم يسأل نفسه بحسه وبفكره : ان كان يختلف معها والى اى مدى درجة الخلاف ؟

... والمدهش انه لم تكن هناك مناقضة واحدة ...

اى ان النتيجة بالحسابات وبالاحساس ـ بكليهما ـ ظلت بدون تغيير !

... ولقد رويت واقعة هذه التجربة الذاتية ـ لا لكى اتخذ منها دليلا ، فهى لاتكفى وحدها كدليل ...

وانما رويتها لارسم صورة عامة تشير الى انه ـ بالحسابات وبالاحساس معا ـ لايمكن ان تكون مصر طرفا مستفيدا من حالة ـ او جريمة ـ اللاسلم واللاحرب ، بل ان استمرار هذه الحالة ـ او الجريمة ـ هو ضربة فادحة على مصر ، ودورها التاريخى ، ومواردها المادية ، ومستقبلها ، واعصابها ، ومزاجها النفسى ايضا .

اى ان مصر فى هذه الحالة ـ او الجريمة ـ هى الضحية المجنى عليها ...

وبالتالى ، فان خروج مصر ـ او اخراجها ـ من هذه الحالة يصبح الاولوية الاولى فى استراتيجية للعمل العربى لابد أن تكون مستنيرة ، قادرة ، ومتحركة .

□

وان نقول ان مصر ضحية وتسكت : فهذا تبسيط مخل ، بل لعله فى جزء منه اساءة الى مصر نفسها .

ذلك ان معنى قولنا « ان مصر ضحية » ثم السكوت بعد ذلك ـ هو الايحاء ولو بالظنون بان

مصر فى الازمة كلها طرف مسلوب الارادة ، لا يملك من نواصى الامور شيئا ، ولا يتحمل فيها بشىء .

وذلك فضلا عما فيه من اساءة لمصر لا يمكن ان يكون صادقا .

واحسب ان الصدق — هكذا ارى وقديكون ما اراه سرابا! — يجعلنا نرى فى المسألة ثلاث درجات :

اولا — ان مصر فى حالة — او جريمة — اللاسلم واللاحرب ، مقيدة فى حركتها بظروف خارجة من ارادتها — وهى لابد ان تواجهها بثقة وجسارة .

ثانيا — ان مصر فى حالة — او جريمة — اللاسلم واللاحرب ، مقيدة فى حركتها بوساوس مدخولة على ارادتها — وهى تستطيع ان تتخلص منها بشجاعة الضمير والعقل .

ثالثا — ان مصر بصرف النظر عن اى قيود ، من ظروف خارجة عن ارادتها او وساوس مدخولة على هذه الارادة ، تملك قدرا من حرية الحركة لايمكن التقليل من اهميته — وهى مطالبة بأن تمارسه الى حده الاقصى .

واذا لم يكن هذا القدر من حرية الحركة كافيا الان لفرض الحل المناسب على الازمة ، فانه بالقطع كاف الان لفرض الحركة الضرورية نحو حل مناسب للازمة .

وعلينا الان ان نتوقف لحظات على كل درجة من هذه الدرجات الثلاث للمسألة .

أولا :

هناك قيد الظروف الخارجة عن الارادة المصرية :

ونحن على هذه الدرجة سوف نجد مجموعة من العوامل لا يستطيع القرار المصرى ان يتجاهلها او يقفز من فوقها وهى على النحو التالى :

❶ ان الموقف الدولى عموما — ونحن نعيش فى اطاره ولسنا خارجين عنه — قد تطور بسرعة — من عصر النزاع بين القوتين الاعظم : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى — الى عصر الوفاق بينهما .

ولقد كان هذا الوفاق باديا منذ سنوات طويلة ولكن تدامى التطورات ادى بالتراكم الى نتائج تبدو مفاجئة . وقد تمثلت هذه النتائج بطريقة درامية فى زيارتى الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون لبكين وموسكو .

ولقد دخل العالم من عصر المنازعات الى عصر المفاوضات .

. [حرب فيتنام يمكن ان تسوى بالمفاوضات قبل نهاية هذه السنة — نزاع الهند وباكستان

بدأت تسويته بعد الحرب بمفاوضات على مستوى القمة بين انديرا غاندى وذو الفقار على بوتو — أزمة برلين وهى صميم مشكلة الامن الاوروبي سويت بالمفاوضات بين المانيا الشرقية والمانيا الغربية — بل ان مشكلة الدول المقسمة مثل كوريا بدأت تبحث من حل لنفسها بالمفاوضات بين « بيونج يانج » وسيول عاصمتى كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية] .

ولكننا فى هذا العصر نجد انفسنا فى ازمة لايمكن ان تحلها المفاوضات لان اسرائيل تحتل وطنا عربيا باكمله هو فلسطين، كما تحتل اجزاء من اوطان عربية اخرى هى مصر وسوريا .

والمفاوضات مع اسرائيل مستحيلة لانه لا يمكن لاية مفاوضات حقيقية ان تجرى تحت تهديد احتلال التراب الوطنى وانتهاك السيادة الوطنية .

ثم ان اسرائيل نفسها جعلت من دعوتها للمفاوضات اكذوبة سخيفة لانه لا جدوى من المفاوضات واسرائيل تعلن كل يوم : ان القدس غير قابلة للتفاوض ، والمرتفعات السورية غير قابلة للتفاوض ، واجزاء من الضفة الغربية غير قابلة للتفاوض ، وغزة غير قابلة للتفاوض ، وشرم الشيخ غير قابلة للتفاوض .

اذن ... ما الذى يمكن ان يكون موضوعا للتفاوض على الفرض النظرى بامكانية قبول الدعوة اليه ؟!

والمازق الذى يواجه القرار المصرى هنا كما يلى :

- العالم يقول انه ينتقل **من عصر المنازعات الى عصر المفاوضات ...**
- والعالم فى مزوله من مخاطر الحرب **يجد نفسه على استعداد لان يتخذ من الامر الواقع نقطة بداية ...** وذلك يستحيل علينا قبوله .
- **واذا كان علينا ان نمارس تغيير الامر الواقع الان — اذن فمعنى ذلك ان علينا استخدام القوة المسلحة فى بعض مراحل حل النزاع ، وذلك يحدث — او هو سوف يحدث — فى جو لايريد العالم فيه ان يسمع طلقة رصاص واحدة !**

٢ **ان طبيعة الولايات المتحدة** [استعمارية ومغامرة] **تضفى على الصراع العربى الاسرائيلى بعدا خطيرا يضاعف من خطورته عمق الالتزام الامريكى تجاه اسرائيل** ، وقد تجلى ذلك كله فى حقيقة ان الولايات المتحدة اعطت اسرائيل فى أوائل هذه السنة — قبل لقاءات بكين وموسكو — مايزيد عن حاجتها من الاسلحة المتطورة للسنوات الخمس القادمة ، بل ان **اسحاق رابين** سفير اسرائيل فى واشنطن

ورئيس هيئـــة اركان الحرب الاسرائيليـــة فى معـــارك سنة ١٩٦٧ قال بلسانه اخيرا :

ـ اننا حصلنا فى السنتين الاخيرتين من امريكا على اكثر مما حصلنا عليه خلال العشرين سنة السابقة عليهما » .

ولقد كان من اخطر آثار ذلك الوضـــع ، ان الســـلاح الجوى الاسرائيلى ـ وهو اداة الردع الاساســـية ـ امكن تجـــديده تماما ، بما يمثله ذلك من مخاطر على العمق المصرى .

والعمق المصرى يختلف عن العمق الفيتنامى مثلا :

● العمق المصرى مكشـــوف [جو مفتوح فى السماء وسهل منبسط على الارض]

● ثم ان العمق المصرى ملىء [ويكفى فيه مثلا نظـــام الرى المصرى ، وعليه تقوم الزراعـــة فى بلد لايعرف المطر الا رذاذا مرة فى السنة] .

وفـــوق ذلك فان الـــولايات المتحدة الامريكية ، تحت ضغوط مختلفة ، قد تتوقف فى فيتنـــام عند حد معين ، ولكن اسرائيل ـ مهما كانت الضغوط ـ لن تعرف حدا تقف عنده .

وذلك كله لابد ان يكون فى حســـاب القـــرار المصرى وفى تقديره وفى تخطيطه .

③ ان الاتحـــاد السوفيتى يختلف فى طبيعته عن الولايات المتحدة . واول شىء ان الاتحاد الســـوفيتى يولى اهتماما كبيرا بالتطور التاريخى فى حد ذاته ويعتمد على ذلك فى احـــداث التغييرات الملائمة لمصلحته مع الزمن الـــكافى لاحـــداث هذه التغييرات .

ثم ان هناك اختلافا فى نوعية اهتمام الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى للتواجد فى المنطقة .

● الولايات المتحـــدة كانت موجودة ، وهى مهددة بالطرد ، ولذلك فانها تقاوم ولو بالضرب .

والاتحاد الســـوفيتى لم يكن موجودا ، والابواب مفتوحـــة امامه الان ، وهو يتحسس طريقه للدخول ، والذى يتحسس يدخل بهدوء وعلى اطراف اصابعه .

● وكذلك فان هناك اختلافا فى نوع ومدى الالتزام السوفيتى تجاه مصر وهو لا يمت بصـــلة الى نوع ومدى الالتزام الامريكى تجاه اسرائيل .

● والاخطر من ذلك كله أن الاتحـــاد الســـوفيتى يتحـــاشى الاصـــطدام المبـــاشر بالولايات المتحدة ، لانه يحـــاول أن يدخل بمجتمعه الى مرحلة الاستهلاك العالمى ولا يريد اية مخاطر تهدد محاولتـــه خصوصـــا اذا كانت لا تمسه مباشرة ولا تمس منطقة التزامه العقائدى .

... والقرار المصرى لابد ان ياخذ علما بذلك فى كل مايصدر عنـــه .

٣ ان العالم العربى موزع فى اهتماماته واكاد اقول ممزق.

هنـــاك اهتمامات اقليميـــة تشد .

وهناك اهتمامات اقتصـــادية تغرى .

وهناك **تناقضـــات اجتماعية** تهتم بتصفية حسابات قديمة ، ناسية ان هناك حسابات جديدة، وان الخطـــر الداهم الان ليس على الامتيازات الطبقية ، وانما هو على الوجود القومى كله .

وهنا فان القرار المصرى ليس له ان يكتفى بالنظر الى جبهـــة قنـــاة السويس ، وانمـــا هو مطالب بان يمد البصر على بقية الجبهات العربية .

ولقـــد يقـــال ـــ والقول صـــحيح ـــ ان القرار المصرى ســـوف يعطى لبقية الجبهـــات العربيـــة ، **ولـــكن ـــ ولـــكى نكون منصفين ـــ فلابد ان نتذكر ان الجبهات العربية يمكنها ان تعطى ولو بالالهـــام للقـــرار المصرى .**

والالهام الموجود على بقيـــة الجبهات العربية ـــ كما يبـــدو الان ـــ على الاقل ـــ ليس خلاقا ... ولا هو مثير ! .

ثانيا :

نصـــل الان الى القيد الذى تصنعه الوساوس المدخولة على الارادة المصرية ـــ بعد ان تعرضنا للقيد الذى تفرضه ظروف خارجة عن الارادة المصرية .

وفى الحديث من هذه النقطة فان العـــدد لن يكـــون ترتيب **اسباب** ، وانما ســـوف يكون **ترتيب مراحل** ، لانه فيما يتعلق بالقيود الخارجية فان العناصر مادية بحتـــة يمكن الامســـاك بأسبابها ، واما فى الوساوس المدخولة فان العناصر تصـــبح نفســـية لابد من تقصـــيها فى الاعمـــاق البعيـــدة للوقائـــع والحوادث .

وكمـــا عـــددنا فى النقطـــة السابقة ـــ القيود الخارجية ـــ **اربعة اسباب** ، فاننا فى هـــذه النقطة ـــ الوساوس المدخولة ـــ ســـوف نعـــرض أيضـــا لاربع **مراحل** :

١ كانت المرحلة الاولى فى النصف الاول من شـــهر مايو ١٩٦٧ الى النصـــف الاول من شهر يونيو ١٩٦٧ .

شـــهر واحد لكنه هز الامة العربية الى اعماق الاعماق .

بداته الامة العربيـــة ، مع ماعرف بأزمة الشرق الاوسط ، ومعنوياتها عالية واحلامهـــا فى السماء .

وجاءت معارك الايام الستة ... صدمة يمكن ان تكون قاتلة لـــكن الامـــة تحملت عـــلى جراحهـــا ووقفت ، وطـــالبت

جمال عبد الناصر بأن يواصل قيادة المعركة وبقى .

وكان عليه أن يبدأ من الانقاض .. وبدأ فعلا من الانقاض يبحث فيهاعن بقايا أمل

وكانت هناك بالفعل بقايا أمل ولكنكانت هناك أيضا مشكلتان لم تكونا أقل فى أثرهما من الازمة السياسية والازمة العسكرية :

● **مشكلة حجم الهزيمة** خصوصا اذا قورنت بحجم الامل قبلها ، والعقدة هنا لم تكن الهزيمة نفسها وانما حقيقة ما حدث .

كيف جرى ماجرى ؟ ولماذا **واين اخطانا ، واين كانت نقاط ضعفنا ونقاط قوة العدو ؟**

لم تكن هناك اجوبة كاملة او شبه كاملة ، منطقية او شبه منطقية ، لهذه الاسئلة كلها ، ولهذا فان المشكلة غاصت فى اعماق النفس العربية وعندما تفوص مشكلة فى اعماق النفس ... نفس فرد او نفس شعب او نفس امة ، فانها لاتضيع ، وانما هى تختفى فى الباطن تفعل فعلها فى الضمير وفى الوجدان .

● **مشكلة مهانة الهزيمة** وقد تعمدها العدو واصدقاؤه بقسوة بالغة .

ان التعليمات لدى الجيش الاسرائيلى لم تكن بان يقاتل فقط ، وانما بأن يقتل أيضا ولو حتى بعد انتهاء القتال ، وأن يقتل ليس أجساد المحاربين فقط وانما أرواحهم وكراماتهم أيضا .

وكان من أقوال ديان فى تلك الفترة :

— يجب ان لا نجعل العرب ينسون هذه الايام مهما بعد عليها الزمن ... يجب ان تظل كابوسا يؤرقهم الى الابد » .

وعاد الذين كانوا فى الصحراء وجراح النفس اكثر ايلاما من جراح الجسد .

وفوجىء المصريون والعرب خارج أوطانهم — فى امريكا واوربا بالذات — بردود الفعل التى رتبها اصدقاء العدو لاخراج مهانه الهزيمة .

واعرف أن بعض هؤلاء المصريين والعرب لم يستطيعوا تحمل العبء .

واعرف أن كثيرين منهم قضوا شهورا فى شبه عزل فرضوه على انفسهم لايرون ولا يتكلمون ولا يسمعون .

بل اتذكر فيما يتعلق بى اننى ظللت بعدها اربع سنوات لا اغادر مصر حتى لا يسالنى أحد ممن اعرف : ماذا فعلتم بانفسكم ؟ » وحتى لا اسال أحدا ممن اعرف : ماذا فعلتم بنا ؟ »

مع الصدمة من حجم الهزيمة — فان الالم من مهانة الهزيمة وجد هو الاخر طريقه الى الاعماق .

② **كانت المرحلة الثانية من**

يوليو سنة ١٩٦٧ الى سبتمبر ١٩٧٠ .

كان جمال عبد الناصر قد نجح فى حشد بقايا الامل التى استخلصها من وسط الانقاض وجعل منها مقاومة متماسكة .

معارك راس العش ... اغراق ايلات ... حرب المدافع ... عمليات العبور ... الغارات الخاصة بالقطع البحرية ، بالهليكوبتر ، برجال الضفادع البشرية ... معارك الطيران ... اسبوع التساقط السريع لطائرات الفانتوم ...

كانت تلك كلها حلقات متصلة فى سلسلة محاولة استنزاف العدو : ارغامه على أن يدفع من دمه ولو قطرة كل يوم ، ثم ارغامه على ان يحتفظ بتعبئة جزئية ، ثم وضعه نفسيا فى جو الخطر .

وبصرف النظر عن اية خسائر تكبدناها فى هذه الفترة فاننا فرضنا على العدو ان يخسر ايضا بل لعل خسائر العدو فى هذه المرحلة من الحرب غير الرسمية كانت اكثر من خسائره فى الحرب الرسمية خلال معارك الايام الستة .

وبالتوازى مع ذلك فان جمال عبد الناصر استطاع ان يرفع مخاطر الصراع من المستوى المحلى الى المستوى الدولى بزيارته السرية للاتحاد السوفيتى فى يناير ١٩٧٠ وهى الزيارة التى قبل فيها الاتحاد السوفيتى أن يكون له تواجد عسكرى فى مصر .

ومع استمرار الاشتباكات المسلحة فان هذا التواجد اصبح عنصر تفجير محتمل للازمة بما هو اوسع من حدود الشرق الاوسط .

... وتحت هذه الضغوط جاء مشروع روجرز .

... وتحطم الائتلاف الحاكم فى اسرائيل .

... ثم توقف اطلاق النار على الجبهة .

... وبينما راحت اسرائيل تدعم خط بارليف — تمكن جمال عبد الناصر من اقامة شبكة هائلة للدفاع الجوى بالصواريخ

وكان ذلك كله تمهيدا ساخنا لاحتمال من اثنين لا ثالث لهما :

- اما حل مقبول على اساس قرار مجلس الامن .
- واما مواجهة اوسع من مجرد الاستنزاف .

ولكن جمال عبد الناصر اعطى نفسه الاخير فى الحياة وسط ازمة عربية استطاع — برغم حمامات الدم فى عمان — ان يحلها بما يشبه المعجزة .

ان المأساة جاءت فى اعقاب المعجزة وذهب الحزن الكبير هو الاخر الى الاعماق ، مع الصدمة ، ومع المهانة ...

هكذا شاءت الاقدار .

⑫ وبدأ انور السادات يحاول مرة اخرى ان يجمع بقايا الامل وان يستخلص من وسط الحزن الكبير ارادة موحدة وعاقلة .

لكن الظروف وطبائع البشر فرضت على مصر ان تعيش من اكتوبر ١٩٧٠ الى مايو ١٩٧١ فترة من اخطر وادق فترات حياتها .

ذلك ان مراكز القوى خرجت تسعى الى السلطة وليس الى اى شيء آخر .

والكارثة الكبرى التى كانت تهدد مصر وقتها هى ان مشكلة السلام والحرب دخلت كلعبة فى الصراع على السلطة .

وبدون ان اتبع اسرارا مما جرى فى تلك الفترة فانه يكفى ان اشير من بعيد الى واقعة واحدة .

فى بداية شهر فبراير ١٩٧١ كان هناك اجتماع لمجلس الامن الوطنى وكان راى كل الذين اشتركوا فيه من مجموعة مراكز القوى السابقة ان الظرف ليس مهيأ وقتها لدخول المعركة .

وبعد ثلاثة اسابيع فقط كان هناك اجتماع آخر واذا براى المشتركين من مجموعة مراكز القوى السابقة ان المعركة بعد اسبوع واحد .

ولم تكن هناك رصاصة واحدة قد زادت فى سلاح مصر فى هذه الفترة — وذلك فى الوقت الذى حصلت فيه اسرائيل على صفقة اسلحة جديدة — بينها صواريخ شرايك اعطيت لها وكانها جرعة طمانينة مضافة ازاء خطر شبكة الصواريخ المصرية .

واتذكر انني سمعت وقتها بعض التفاصيل مما حوته المناقشات وكنت فى شبه ذهول لان الحجة الاساسية التى ابديت للانتقال السريع من قرار الى قرار لم تكن استراتيجية او عسكرية وانما كانت الذريعة بان تغيير القرار ضرورى للاوضاع الداخلية .

وكنت على استعداد لقبول اى قرار مهما كانت مخاطرة اذا كانت دواعيه وطنية وقومية واذا كانت اسسه استراتيجية وعسكرية ، ولكنى كنت اخشى دائما من اية قرارات تتخذ بالقتال مع العدو ، بينما دواعيها فى الواقع ذاتية وشخصية ، كما ان حساباتها تتصل بالاوضاع الداخلية اكثر مما تتصل بالتحرير والحرية .

وكان ذلك فى رايى لعبا بالاوطان وبالمصائر لا تحتمله المبادىء بل ولا تحتمله الحياة !

واتذكر اننى سالت بعضهم — وهناك شهود فى القمة اليوم — على هذه الواقعة :

— اننى لا افرض نفسى على ما هو خارج اختصاصى ، ولكنى كمواطن مصرى ، اريد ان اسال

لماذا تقرر اليوم عكس ما تقرر قبل ثلاثة اسابيع ، مع انه ليس هناك تغيير فى الموقف ؟ »

وكان الرد ـ والشهود موجودون :

ـ لان المعركة سوف تصفى قوى اليمين فى البلد ... » .

وقلت :

ـ ولكن اذا لم نكن مستعدين اليوم فان الذى سوف يصفى هو القوى التقدمية فى البلد ! »

وعدت الح ، وقيل لى :

ـ نبدأ المعركة ولا تهم كل هذه الحسابات ، لان الاتحاد السوفيتى سوف يجد نفسه محرجا ، ومن ثم يسارع الى انقاذنا .. !! »

وقلت :

ـ واذا لم يسارع الى انقاذنا » !!

وكانت تلك كلها تعللات ، خلفيتها انه خلال الاسابيع الثلاثة التى تغير فيها القرار ـ بدأ الصراع على السلطة يصطدم بالشرعية ...

واذا بمشكلة الحرب والسلام تقحم اقحاما فى الساحة لحل صراعات داخلية لاتمثل الامطامع قلة من الافراد .

واتذكر اننى لم اشعر بالقلق على مصر بمثل شعورى به فى ذلك الوقت واتذكر انى خرجت وقتها بمقال عنوانه « تحية للرجال » حاولت اشرح فيه صورة المعركة العسكرية التى يراد لمصر ان تغامر فيها بغير حسابات الا فتات الصراع على السلطة .

وعانيت بسبب ذلك المقال ماعانيت وكان عزائى انه مهما كان ما أتعرض له فانى نقلت لمحة من الحقيقة للناس .

كان كل شىء يهون الا الحرب ملاجا للمطامع فى السلطة .

واحسب ان هذه الفترة كانت فترة عذاب فى حياة انور السادات !!

كانت عاطفة الوطنية تتملى ! ولكن مسئولية القومية تحسب .

ومضت ازمة اللعب بمشكلة الحرب والسلام فى صراع السلطة ، وجدت ازمات اخرى غيرها اريد للمقدسات كلها ان تكون الصاب سلطة فيها .

ثم جاء يوم ١٤ مايو .

٤ اننا مازلنا نعيش فى المرحلة الرابعة حتى الان .

بدت الصورة فى ظاهرها وكانها عود على بدء .

جاء روجرز فى مايو ١٩٧١ وكان المفروض انه يحمل التزامه بمشروعه الذى قدمه تحت ضغوط حرب الاستنزاف والتواجد السوفيتى فى ظروف هذه الحرب وجوها ـ سنة ١٩٧٠ .

وتكلم روجرز فى القاهرة بما تكلم به وقتها وعاد الى واشنطن ، لكن حساباته

واشنطن كانت قد اختلفت .

من يونيو سنة ١٩٧٠ حين قدم روجرز مشروعه ، الى يونيو سنة ١٩٧١ كانت الصورة قد اختلفت تماما !

- عبد الناصر لم يعد موجودا .
- المقاومة الفلسطينية تمت تصفيتها فى الاردن .
- الجبهة الشرقية تفككت .
- الصراع على السلطة فى مصر اخذ ضريبته ولو من اعصابها .
- الاتحاد السوفيتى يشعر بقلق مما كان يصور له ، من ان عناصر مراكز القوى التى ذهبت كانت هى الاقرب اليه من غيرها ، واعطت مصر معاهدة الصداقة والتعاون ليطمئن الى ان علاقتها به استراتيجية وليست تاكتيك أفراد .
- ثم تفاقمت ازمة الشك فى العلاقات العربية السوفيتية بما جرى فى السودان .
- ثم جاءت فترة من الحيرة تباينت فيها الاتجاهات فى العالم العربى كله ، وتضاربت وتخبطت الاهداف والمصالح والاتجاهات .
- ثم انفجر مشروع الملك حسين على الساحة العربية — وبصرف النظر عما فيه — فان هذا المشروع كان دليلا واضحا على ان احدا لم يعد يخشى شيئا من تاثير المبادىء او ربط الالتزامات او حتى الشعور بالحياء !

.....

.....

كل ذلك ومشاكل اخرى .

وذلك كله — وغيره — ادى الى تشجيع الولايات المتحدة على الاقتراب اكثر واكثر من موقف اسرائيل ، ومع بداية سنة انتخابات جديدة للرياسة — ١٩٧٢ — قدم ريتشارد نيكسون هديته لاسرائيل فانتوم وسكاى هوك .

□

كانت سياسة اسرائيل واضحة وكانت الولايات المتحدة وراءها تماما .

كانت السياسة هى فرض اللاسلم واللاحرب .

وفى الحقيقة فان هذه السياسة كانت سياسة « اللاحرب » ، ذلك لان اسرائيل تملك السلم اذا ارادت ، لكنها لاتريد السلم وانما تريد التوسع

واذن تضع العرب فى موقف « اللاحرب » مهما ارادوا وفى الحقيقة فان ذلك هو صلب سياسة التصاعد الامريكى .

وظن اسرائيل انها «باللاسلم» — لانها لاتريده — و«باللاحرب» — اذا فرضته على العرب مهما أرادوا — تحقق وبالكامل كل ما تريده .

هنا نصل الى الدرجة الحيوية
مع السلم وهى حـــرية الحركة
التى تملكها مصر والتى نستطيع
ممارستها .
كيف ؟
هذا هو السؤال
ولابد ان نعطيه حقه تفصيلا.

محمد حسنين هيكل